جماليات التشكيل الصوري في شعر القاضي الهروي

أ.م.د. إسراء خليل فياض و أ.م.د. زينب فاضل احمد

في ظل هيمنة الصورة الشعرية على أركان النص الشعري، تبرز هيمنتها الجمالية في رسم الموضوعات بشكل ملفت للنظر في عناق فني ممزوج لتلك الأساليبالبيانية والبديعية المختلفة.

اذ جسدت الصورة بأنماطها وتشكلاتها الحسية والفنية بواسطة عنصر الخيال،معادلا فنيا مشحونا لموقف الشاعر العربي و رؤيته في تصوير خلجاته الوجدانية والفكرية.

والواقع ان بحثنا قد دخل ضمن هذه التشكلات الصورية في ملمح جمالي امتاز به شعر القاضي الهروي،من خلال نظمه لصور متفاعلة بأنماطها التخيلية . لقد كان شعر القاضي الهروي ميدانا بارزا لتحقيق تلك المشهدية الجمالية ،إذ امتاز هذا الشاعر بخياله التصويري الرائع في نسج صوره المختلفة اذ ينساق ضمن تجربته الشعرية مشخصا الصورة في جدلية ذاتية محددا إياه من خلالها سلوكيات الاحداث والدلالات الانفعالية،وقد جاء بحثنا في محاور عدة؛ منها اضاءة مجتزءة عن حياة الشاعر الهروي وعصره، وأخرى عن مفهوم الصورة الشعرية ،وآليات تشكيلها ومصادرها محاولين تتبع الخيوط الاساسية التي تجعل من نسج الصورة الشعرية نسجاًمتكاملا، ومن ثم كانت لنا وقفة مع تطبيقات الصورة الشعرية في شعر الهروي .

المحور الأول : حياة الهروي وعصره

يعد القاضي الهروي شاعراً عباسيا من شعراء القرن الخامس الهجري، عرف بأنه القاضي الفقيه الهروي الاديب والشاعر ،ابو احمد ابي منصور محمد بن محمد بن عبد الله ابن الحسين المهلبي الازدي الهروي،ولد سنة (٣٦٠)ه في مدينة هراة من امهات مدن خراسان وهي مدينة عظيمة فيها بساتين ومياه غزيرة وفيها من أهل العلم والأدب والفضل الكثير(١).

وينتمي القاضي الهروي الى بيت مشهور بالعلم والفضل بهراة وينتهي نسبه الى الأمير المهلب بن ابي صفرة فهو ازدي عماني الاصل عربي صليبة ،سكن اجداده مدينة هراة بخراسان ،وفيها ولد وفيها نشأ.تلقى الهروي علومه على يد ابيه ،ومنه العالم الثقة ابي الفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن خميرويه بن يسار الخميرويي الكرابيسي الهروي ،ومن ابي منصور العباس بن الفضل بن زكريا الهروي(٢).

كان كثير الترحال ما بين بغداد والهراة في منفعة علمية وجودة شعرية، ظهرت مفارقات كثيرة في ترجمة حياة القاضي الهروي ما بين اعتدال ومجون فيما وقف عليه البعض امثال الباخرزي الذي ذكر ان القاضي الهروي كان مغرى بالشراب، مغرما بالأضراب، يمناه مشوجة بكأس الرحيق ويسراه مقرطة بعروة الأبريق وفي خمرته و وصفها لا يسابقه احد حتى وان كان الشاعر ابو نؤاس سيد الخمريات في العصر العباسي(٣) ،وفي مقابل ما اتفق البعض على انه قاضيا معتدا بحكمه، حساما على اهل البدع وسدادا للمذاهب الدينية فضلا عما أجادت قريحته الأدبية من شعر ونثر اذ كان شاعرا حسن الله شمائله، وكثر فضائله، فهو من أعيان هراة واكابرها ومفاخرها وآفرادها وشعره متنوع الموضوع، كثير الملح والنوادر والفكاهة(٤).

وللقاضي الهروي مؤلفات وكتب ورسائل، فهو اديب مبدع برع في الجانبين النثري والشعري، اذ

جمع ما بين الادب واللغة والشعر والحكمة والفضل،وضم ديوانه موضوعات واغراض شعرية كثيرة هي اشهر ما عرف به عصره العباسي في قرنه الخامس الهجري، وقد تباينت ما بين(الشكر-المدح-الشوق-اللوم-الشكوى والاعتذار-الزيارة والعزاء-الشوق-الفكاهة-الوصف والتشبيه-الدعوات) فضلا عن رسائله النثرية(٥).توفي الشاعر والقاضي الهروي سنة(٤٤٠)هـ (٦).

المحور الثاني: مفهوم الصورة الشعرية ،وتشكيلاتها

لاشك ان الصورة الشعرية ((هي

الأداة التي تتربع على سائر الأدوات الشعرية فبحضورها أو غيابها يحكم على هذا الكلام الذي نسميه شعرا، ولأن تحويل القيمة الشعورية إلى قيمة تعبيرية يتم بوساطتها))(٧). لذا فلا يمكن النظر إلى القصيدة أو العمل الأدبيبدونها على انه عملا فنيا متكاملا. لانها جزء عضوي شامل ومتماسك تؤدي دورا مهما في هذا البناء.

وللصورة الشعرية مكانتها في رسم قوام الكلماتهي من المرتكزات الاساسية للسموالشعري وهي خوالج الافكار وبصمات الشاعر على القصيدة ليكسبها الجمالية والابداع في تشكيل الرؤية الشعرية تشكيلا فنيا،والايحاء بالابعاد الفنية لهذه الرؤية.وتتشكل الصورة الشعرية فنيا من ادوات مختلفة اهمها وابرزها:

أولا: التشبيهفي ((علاقة مقارنة بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال... دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة))(٨). و تبرز قيمة التشبيه في أنه يقرب الى إدراكنا الهيأة التي عليها الصورة المطلوبة بأسلوب يدل على قدرة في العرض وبراعة في التصوير.

ثانيا: الإستعارة:هي ((أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))(٩)ليكون التشبيه هو الاصل والاساس في الصورة الاستعارية مع فارق أن الاستعارة أبلغ منه((وأعمق أثرا وأشد لصوقا بالنفس وأكثر إثارة للخيال لما توحيه من قوة التماثل))(١٠). وقدرة على تخطي الواقع بالخيال ورسم صورة جديد في استعمال اللفظ في غير ما وضحهالتشبيه بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه.

ثالثا: التضاد (الطباق)، هو ((الجمع بين معنيين متضادين أي متقابلين في الجملة))(١١)وهو لون من ألوان البلاغة وظفهالشعراء توظيفا لتقريب الصورة الى المتلقي في تنسيق الكلمات ووضعها بما يقابلها من معانٍ متضادة أو مترادفة .

رابعا: الجناس: وهو احداث ((تجانس أي تشابه بين كلمتين في النطق ويكون معناهما مختلفاً))(١٢) ولا يشترط فيالجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي من التشابه ما تعرف به المجانسة . والجناس على ضربين منهما الجناس التام الذي يعني باتفاق اللفظتين في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها مع اختلاف المعنى والجناس غير التام أي يعني اختلاف اللفظتين في نوع الحروف أو عدد الحروف أو هيئتها أو ترتيبها(١٣) .

الصورة بواسة الحواس او يمسى بالصور الحسية :

لاشك ان الحواس هي النافذة التي يطل من خلالها الشاعر على العالم من حوله ، والحواس من أهم وسائل الذهن في الاستقبال والبث.لذا عدت جزءا مهما من اشكال الصور الشعرية، لأن ((أغلب الصور ممتدة من الحواس الى جانب ما لا يمكن اغفاله من الصورة النفسية والعقلية))(١٤)، اذ ترسم الحواس صورا مشحونة بالاحساس والعاطفة في مسايرتهاللانفعال الذي تحدث الحواس مع جو التجربة في مواءمة موضوعية تناسب تخير الشاعر لها لتخير المعنى المراد بالنهاية(١٥). ومن اهم تلك الصور:

- البصر وتسمى الصورة البصرية والتي تعتمد على البصر في نقل الوصف الخارجي للمظاهر التي توجد في الكون والطبيعة الى النص الشعري والتمتع بجمالها، إذ وجد الشعراء في الرؤية والاحساس الناتج عن الصورة البصرية الطريق المباشر الى التجربة الشعورية.
- السمع وتسمى الصورة السمعية التي تعتمد على حاسة السمع في رسم الصور لما يحتوي الصوت من طاقة كامنة تستطيع تحريك الساكن في نقطة ما تمثل علاقة الصوت مع المعنى.
- الشم وتسمى الصورة الشمية وهي تعتمد على حاسة الشم في بث مشاعرالشاعر وافكاره بصورة فنية معتمدة على ذلك التوظيف للصورة الشمية.
- التذوق وتسمى الصورة الذوقية،اذ عد التذوق أداة الشاعر الفاعلة في صياغة امكانياته وقدراته الفنية واظهار مشاعرهُ بصورة تفعل الاحساس بالتذوق .
- اللمس وتسمى بالصورة اللمسية، اذ يستطيع الشاعر والمتلقي بهذه الصورة لمسها باليد والاحساس بها.

المحور الثالث: تطبيقات الصورة الشعرية في شعر الهروي

ومن خلال قراءتنا لشعر القاضي الهروي وجدنا ان الصورة الشعرية في شعرهقد تجسدت في سياقات مختلفة تفيض خيالا وابداعا وتصويرا متناسقا. وقد تمازجت الفنية والحسية فيها في نسيج الخيال والقدرة الابداعية للشاعر، ومن ذلك قوله وهو يشبه المعنويات بالمحسوسات ضمن حديثه عن الحكمة والموعظة(١٦):

شِـدَةُ الدَهـرِ تَنقضي
ثُـمَ يَـأتي رَخَـاؤهُ
كَـدَرُ العَيْـشِ لِلـفَتَى
يَقْـتَفِيْهِ صَفَـــاؤهُ
وَكَـذا المَاءُ يَسبَقُ الصـ
ـصَفومِنـهُ جَفَـــاؤهُ

تتساق الحكمة بالمتضادات اللفظية (الشدة - الرخاء، الكدر - الصفاء، الصفو - الجفاء) من خلال السياق التشبيهي الذي يتولد في النص بتشبيه المعنويات بالماديات لتقريب الدلالة الشعرية للمتلقي وتجسيد التجربة الشعرية، ولاشك ان الابداع الرمزي للماء وثنائيته في الجفاء والصفاء اكسبت المعنى بعدا سيميائيا فالماء بجريانه وامتداده في صفوه وجفائه يشابه جري الايام برخائها وصعوبتها .

الماء ودلالته بين الصفو والجفاء = الايام ودلالتها بين الرخاء والشدة

ويتتبع التضاد صور علاقات الشاعر في ثباتها وتلازمها، ويستل من التساؤلات المدعمة ب(أم المعادلة)صورا للحديث عن حيرة النفس، كما في قوله (١٧):

أَ أَضْحَكُ أَمْ ابكِي، وأَرَضى أَمْ أَغْضَب
وَ أَغْـدِرُ فيـــــما قُلتُهُ أَمْ أُؤنَبُ
.....
وَ كَيفَ أَرْجي الوَقتَ؟ لا مَوضعي يَرى
وَ لا سَعدٌ لي يُرجَى ولا نَحسٌ يُرهَبُ

اذ حقق الشاعر تواصلا حسيا بالسمع واللمس والبصر مع فنية وجود المتضادات (اضحك-ابكي، ارضى-اغضب، اغدر-أؤنب، سعد-نحس) معادلا فنيا مشحونا من رؤيته للحياة، وجعل من الاستفهام بالهمزة والأداة (كيف) دلالة تنسجم مع حيرته. التي اسهم التكرار بأيقاعية. (أ-أم ، لا ، ولا) من تكثيفها وشد المتلقي نحوها.

وتعكس المتضادات، هاجسا انسانيا مضطربا، كونها بأيجاز خلاصة لتجربة الشاعر في وقت معين مليءٌ بالحدث والشخوص، كقول القاضي الهروي(١٨):

وَتَبَسَمتْ أيامُنا بَعد الـــعَبو
س وَ وردَتَ وجَـنَاتُها تَوريدا
وَالدَهْرُ أحْسنَ بَعد طُول إسَاءَة
فَـغَدا لِـــواء سُرورنا مَعقودَا
وأرى الزَمانَ اليومَ أَحْسنَ مَنظَرا
وأرَقُ أورَاقا وَ أرطَـــبُ عُودا
اليومَ أعطَانا السُرورَ عنانَـــهُ
طوعاً وأبدَلَ بالنُحوسِ سُعودَا
اليومَ قَابَلَنا الـــــزَمَانُ بِوجْهِهِ
طلَــقا وَنلـنـا عِزنا المَنشودَا

ويعمد الشاعر الى اسلوب المجاز، محققا صورة استعارية وسط متضادات للفعل المعنوي، فهويعيش في اجواءها ويسبح بعقله في تصور تقلبات الزمان والاقدار وما تبعثه من تغييرات فالايام وجهها متورد من الابتسامة وللسرور لواء معقود وعنانه يمشي طوعا والزمان يستقبل وافديه بوجه طلق باسم، فكيف لا تتغير الاحوال من (تبسمت-العبوس، احسن-اساء، النحوس-سعود) في مشهدية احكمتها المجناسات في (وردت-توريدا، ارق-اوراقا) موصولة بأيقاع موسيقي منبعث من تكرار (العطف بالواو، اليوم).

ويسهم التشبيه في رسم صورة فاعلة في تخصيص نوع الفخر الذي يريده الشاعر الهروي لنفسه، بقوله (١٩):

فَأَسْـرِعْ لِلنَجَاحِ وَفُزْ بِشُكْرِ
كَنشْرِ المِسْكِ وَأَمْعِنْ فِي الذكَاءِ
فَفِعْلكَ فِي خلالكَ فِي ثَنائي
ثَنَـــاءٌ فِـي ثَـنَاءِ فِـي ثَـنَاءِ

فتشبيه علو مكانة مدحه بنشر نفحات المسك، قد حقق ذلك الانزياح الاسلوبي عندما التفت الشاعر من هذا المدح والاطراء للممدوح الى الفخر بنفسه، فخرا تتجسد فيه خصوصية ما يمتلكه من أجادة شعرية، وقد احكمه بخطابية موجهة بـ(اسرع-أمعن)، واصلا بالتكرار الموسيقي (في ثناء) تلك الغاية المنشودة.

وتحاول الصور التشبيهية ان تطرح الجمال المنبعث من حضور المرأة في شعر الهروي ضمن غزليات شعرية، كانت المتضادات والصورة البصرية أهم شواهدها، بقوله(٢٠):

خَشْفٌ مِنَ التُرك مثلُ البَدرِ طَلعَتُهُ
يَحوزُ ضِدين مِنْ لَيلٍ وإصْباحِ
كَأَنَّ عَينيْهِ والتَفتِيرُ كَحلَهُما
آثارُ ظُفرٍ بَدتْ فِي صَحْنِ تُفاحِ

فالنص ممزوج بتلك العلاقات الجمالية الموصولة ببعضها البعض، فالمحبوبة، كالبدر في تشبيه جمال طلعتها، ليزداد جمالها توهجا ما بين عتامة الليل (لون الشعر) واشراقة الصباح (لون الوجه) في متضادات معنوية، مؤطرة بصورة بصرية في تشبيه غنج العيون

وسحرها القاتل كقظمة التفاح.

ويجسد الشاعر الهروي في صوره الغزلية ذلك التبادل الفعلي التصويري في سياقات استعارية متجانسة تتعاكس الصفة الفعلية بالتبادل بين المستعار والمستعار منه، ومن ذلك قوله(٢١) :

أفْـدي الذي كُلمَا تَأمَـلَهُ
طَرفي كَادَ الضَميرُ يَلتَهبُ
يَنتَهبُ اللَحظ وَردُ وَجْنته
وَلَحْظهُ للقُلـوبِ مُنتَهبُ

فبدلا من ان اللحظ ينتهب ورد الوجنات يصبح ورد الوجنات منتهبا لذلك اللحظ ،واللحظ بدوره ينتهب القلوب وبذلك التوالد الاستعاري تتولد الدلالة السيميائية اللونية للون الاحمر الكامن في الورد المنتهب للحظ حتى يدمى فتنتقل صورته اللونية لدماء القلب المنتهب .

ويسعى التشبيه الى جمع صور جمالية،محسوسة تتأرجح ما بينالشم والبصر، كقول القاضي الهروي في تورد محبوبه (٢٢):

مَـنْ وَجْـهَهُ كالقَمَر الفَرد
أقْبلَ في قُرطَقه الوردي
يَسعَى عَلى الوَرد بوردية
يُكسدُ سُوقَ العَنبر الوَرد
فاغْـدُ عَليْنا تَر مَا شئْتَ من
وَرد عَلـى وَرد عَلى وَرْد

اذ رافق الأشتقاق في لفظة (الورد) جزئيات الغزل، فالمحبوب يتزين بالورد ورائحته كالورد فضلا عن نشره للورد في تكرار موسيقي يشد المتلقي، تاركا للتشبيه الحكم بمصير جماله المقمر.

ويعول الشاعر الهروي على الطبيعة في توليد الجمال بتلك الصور اللونية، كقوله(٢٣):

قَرنَ الزمَانُ الى البَنفْسَج نَرجسًا
مُتبَرجاً فـي حُلَة الأعْجاب
كَـخُدود عُشاق بـدَتْ مَلطُومَةً
نَظرَتْ إليْها أعْيُنُ الأحْباب

ولاشك ان الشاعر –هنا–يولد الصور اللونية المستفيضة في دلالاتها الابداعية حيث امتزاج الوان الطبيعة مع بعضها حيث امتزاج البنفسج مع النرجس،يشبهه الشاعر بخدود العشاق التي كأنها ملطومة من نظرات الاحباب اليها، فامتزاج اللونين الابيض والبنفسج يجسد الابداع التصويري المتناغم .

وضمن الصور الغزلية ما امتزج بألوان الطبيعة ولاسيما شقائق البنفسج، قوله القاضي الهروي ايضا(٢٤):

وَأغْيدٌ سَاحر الألْحَاظ أدْعَجْيَتيْهُ
به على الخَد المُضَرج
أضَافَ الى فُؤادي السُقْم لـما
أضَافَ الى شَقائقْه البنَفْسَج

اذ يشبه الشاعر الهروي الحبيبة الغيداء بالورد والشقائق المطرزة بالبنفسج في لوحة طبيعية تتولد من انساق لونية تشع بديمومة الحياة والجمال.

ويسعى القاضي الهروي الى توظيف الاستعارة في مشهديات الطبيعة، حيث الحركة والجمال، بقوله(٢٥):

وَ قَدْ ضَحكَتْ شَقَائقُ في أقَاح
فَظَـلَ الـروضُ مُخْضَرَ الرِدَاء
فَـلاحَ لَنْ رنَا صُبحُها إليْهَا
بَـهاءٌ فـي بَـهاء في بَـهاء

فما بين كساء الروض وضحكات الاقاحي، عم الطبيعة ذلك البهاء الذي لفت انتباه المتلقي في ايقاعية التكرار الموسيقي.

وتتفاعل الصورة البصرية مع الصورة الشمية في سياق شعري متراصف في شعر الهروي كقوله :(٦١)

رَوضَةٌ غَضَةٌ عَلاهَا ضَبابُقَدْ
تَجَلَتْ خـلالُهَا الأنْوارُ
فَهي تَحْكي مَجَامرَ مُذكيات
قَد عَلاها من البُخور بُخَارُ

اذ يشبه الشاعر الروضة الغناء بضبابها وعطرها بالمجامر التي تفوح منها رائحة البخور .

وتتكشف جمالية الصورة الخمرية لدى القاضي الهروي من تلك العلائق الفنية العميقة ما بين الأدوات البلاغية والسيمائية اللونية، كما في قوله(٢٦):

قُـم يَاغُـلامُ فَهَاتها حَمراءُ
كالنَار يـورثُ شُربُهَا الَسراءُ
فاليومَ قَدْ نَشرَ الهواءُ بأرْضنَا
مـن ثَلجه ديبـَاجَةٌ بَيضَاءُ

وتنبثق الصور اللونية بدلالاتها السيميائية الفاعلة في الخمريات حيث دلالتي اللون الابيض والاحمر فالشاعر يشبه لون الخمرة بلون النار وهنا ليس المقصود بدلالتها اللونية فقط بل بدلالتها التأثيرية المشعة نارا في حشايا الشارب.

ويوقظ اللون في وصف الخمرة، الاحساس بجمالية صورتها وحركتها، كما في قول القاضي الهروي(٢٧):

فَـهاتـها مَـزةٌ حَـمراءُ صَافيةٌ
تُـمْلي السُرورَ على قَلبي فَينتَسخُ
وَسَابق الدَهْرَ، إنَّ الدَهرَ ذو غير
ونَحنُ فـي غَفلة، والعُمرُ يَنسَلخُ

ان تلك الحاجة تأصلت في الخطاب الطلبيـ(هات،سابق) وقد اسندها التكرار في (الدهر) والمشهدية البصرية لمناجاة تلك الراحة والسرور المنبعثة من الخمرة وسط انعكاس لوني لا يمكن تغافله.

ان وجود تلك الصور اللونية وبكثرة، قد عكست فلسفة انسانية غايتها الراحة من الهموم والاحزان في معرض شرب الخمرة، وكأن الخمرة باتت اداة مسعفة تساند الفرد وهو يصارع الحياة في عمره المؤقت(٢٨).

ويبدو القاضي الهروي قد كسر حدود التوقع عندما باتت الخمرة لديه دواء للآلآم ولاسيما عندما يصدع رأس الشاعر، بقوله(٢٩):

أشْبَـــهَ الماءَ راحُـهُ
وَحَكـــى الـراحَ مَـاؤهُ
دَاوٍ بالقَـهوةِ الخَـما
رُ، فَـفِـيْهَـــا دَواؤهُ

فوسط كثافة معنوية في تشبيه الخمرة بالماء تارة، وبالقهوة في مسميات لها تارة اخرى،أمست الخمرة امام رؤية الشاعر وعيون خياله، تطبب الانفس العليلة و تورث ذلك الانسجام النفسي فيما بينهما. ساعيا برصد الصدر على عجزه ما بين الماء والدواء الى التذكير بذلك.

ثم يوشح القاضي الهروي في موقع اخر ذلك اللون بالديباجة البيضاء للارض والهواء الطلق مع موسيقى ايقاعية بثها التكرار اللفظي بقوله(٣٠):

أدارَ البدرُ لي شَمسَ السَّماءِوَوَجهُ
الصُبحِ مُنْكشفُ الغطاءِ
فراحِي والصباحُ ومَـنْ سَقاني
ضِيـاءٌ في ضِـياءٍ في ضِياءِ

وتبرز الصورة الضوئية في هذا النص من خلال التراكم التكراري للدوال والايقونات الضوئية حيث الشمس والبدر والصبح والضياء ،وقد افاد الشاعر من الابداع الاستعاري التشخيصي في نسج الابعاد الزمنية حيث انجلاء الليل وقدوم الصباح وقد اسهم التراكم التكراري للضياء في تشبيه متراكم لمشبه متعدد ومشبه به مفرد حيث راحه ،والصباح والساقي = الضياء.

وتتكرر تلك الصور اللونية التوليدية الخمرية في قول القاضي الهروي في موقع اخر(٣١):

مُدامُأُفْـــرِغَتْ في جَامِ تبرٍ
وَقدْ حَاذتْهُما شَمسُ الضُحاءِ
فقال الناظرونَ وقدْ أصَابوا
ذُكـاءٌ فـي ذُكـاءٍ في ذُكـاءِ

لقد عكست الخمرة تلك الألوان في سياق سردي ليتولد من ذلك السياق الحكائي صورا تشبيهية متراكمة لمشبه متعدد(الخمرة ،والجام ،والشمس)بمشبه به واحد وهو(الذكاء).

وتمتزج خيوط الدلالة السميائية باللون في قولالقاضي الهروي مرة اخرى (٣٢):

وَاسْقِي الوَردَ مَاأبْقَى فَيُروى
وَتُثْنِيْه الشَقائقُ في ارْتواءِ
فَـوردي وَالشَقِيْقُ وضَوءُ كأسي
دمـاءٌ في دمـاءٍ في دمـاءِ

وتندمج الاشياء في دلالة سيميائية لتولد اللون الاحمر وفي سياق تشبيهي متراصف فالخمرة والورد والشقيق كأنهم الدماء .ومثل تلك التراكمات التصويرية قوله ايضا (٣٣):

وَلو أن المَاءَأحمرُ السَواقي
وَلونُ الراحِ أحْمرُ في الأناءِ
يُـقابِلُ وَجْنةُ السَاقـي فَيَبدو
طَـلاءٌ فـي طَلاءٍ في طَلاءِ

ويصور الشاعر الهروي ساقي الخمرة من خلال توليده للصور الخمرية المشتقة من تلك الخمرة، بقوله (٣٤):

مُعتقَةٌ أرقُ من التَصابـي
وَمن وَصْلٍ أتَى بَعدَ التَنائي
يَطوفُ بها قَضيبٌ في كَثيبٍ
تَطلـعُ فَـوقَهُ بَدرُ السَماءِ
لَواحظهُ تَبثُ السحرَ فِيْـنا وَفي شَفتَيْهِ أسْبابُ الشفاءِ

ولاشك ان الشاعر يبرع بالتشبيهات الغريبة حيث يشبه المحسوس بالمعقول ليغرب في صوره التشبيهية ويجنح بها الى عالم الخيال الشعري حيث الخمرة برقتها وتعتقها كالوصل بعد التنائي ،ثم يأتي بالتشبيه المركب ليحقق الابداع التصويري حيث ينسج صورة تشبيهية من قضيب في كثيب وبدر سماء فوقه ولواحظه تسحر .

ونجد تلك الصورة الاستعارية في كشفت النقاب عن المحبوب اوساقي الخمرة.ومن ذلك قول القاضي الهروي (٣٥):

وَمُـهَفهَفٌ لَمَا تَثنَـى خلتَهُ
غُصْنا يَجدُ به النَسيمُ وَيلعَبُ
أومثَالـيَّ بكأسه فَشَـربتَهَا
وَحَسبتَني من وَجنتَيه أشْربُ
وَدنَا إليَّ بطاقَة منْ نَرجس
فَـحَسبتُ بَدراً في يَديْه كَوكَبُ

وتتعدد مثل تلك الرؤى التشبيهية المتوالدة حيث ان الساقي كالغصن لتفضي به الصور اللونية المتعددة من نرجس وبدرالى صور شعرية متجانسة حيث يكون بدرا في يديه كوكب .

ويبدو ان الاوصاف الجمالية هي من أسكرتالشاعر الهروي لا نشوة الخمرة، وهو ما أكده في قوله(٣٦):

وَأسْكَـرني بَـدرُ تم غَدَتْمنَ
الـوَرد وَجنَتُهُ في نقابِ
بخمرِ الدنانِ، وخَمرِ الجُفونِ

وَخمرِ المُحَيا، وَخمرِ الرضَابِ

فالسُكرُ بدا من غنج الجفون واغواء البسمة في جمالية رسمها تشبيه المحبوبة بالقمر موصولة بتلك المشهدية التي احكمها النقاب لشد المتلقي الى ذلك السُكْرِ الذي تجمعت فيه الاوصاف والنعوت والمشرب.

ويأتي الشاعر الهروي بالتشبيه المقلوب، في خمرياته، كقوله :(٦٢)

قُمْ لاعَدمْتكَ فاسْقنـي من
قَهوةٍ لَو أُبْرزَت للشَّمْس أخْفتْ نُورهَا
وانْثرْ على الذَهَبِ الْلجَينِ أمَا تَرى
نَثر السَماءُ عَلى الثَرى كَافورَهَا

اذ تحققت تلك الجمالية بذلك التشبيه المقلوب في لون الخمرة فهيبنورها تخفي نور الشمس،ويشبه المطر باللجين الذي ينثر على الارض (الذهب).

وتتحقق تلك الصورة الجمالية عندما، يوظف التشبيه والاسلوب الطلبي الملح في طلب الخمرة، بقوله :(٥٧)

أدِرْ المُدامةَ ياغُـلامُ فإنَنا
في مَجْلسٍ بيدِ الربْيعِ مُنجَدِ
والوَردُ أصْفرهُ يَلـوحُ كأنَهُ
أقـــداحُ تَبرٍ كُعبتْ بزَبَرجَدِ

بجسد الشاعر الابداع اللوني من خلال امتزاج اللونين الاحمر والاصفر في سياق تشبيهي متفاعل ومتجانس .

وتتمازج الصورة الاستعارية مع اللون في الكثير من نصوص الشاعر الهروي كقوله:(٧٩)

وَجاءَ نَسيمُ الريح يَهدي
تَحيةً إلَيْنا بأنفاسِ الرياضِ يَشيْعُ
وقَـد نبهَ الأنوارَ فابتَسمتْ لنا
وأعْينهَا باللؤلؤِ الرطبِ تَدمَعُ

ان الصورة الاستعارية في هذا النص اسهمت في اثراء المعنى بالطاقة اللونية والمائية الفاعلة التي تسهم في اثراء المعنى بالبداع الدلالي المتميز حيث الانوار واللآلئ.

كما تسهمالصور التشبيهية في اثراء المعنى بدلالات شعرية مستفيضة، كما في قول الهروي: (٨٨)

فتى اذا مَافـاضَ ندى كَفه
غضَ منَ الغيثِ اذا ما هَتنْ
كالَبحرِ ان هاجَ طَمى بالردى
وَيقذفُ الـدُرَّ اذا مَـا سَكَنْ

اذ يشبه الشاعر الممدوح بالبحر في وجهين متضادين في حالة الغرق الذي يصيب به الاعداء في حالة الحرب بشجاعة وحمية فهو يشبه البحر في كرمه حين يقذف الدر وبذلك فأن وجه الشبه وتعدديته اسهم في اغناء المعنى بدلالات شعرية مستفيضة.

ويبقى القول اننا وجدنا تميز الصورة لدى القاضي الهروي الشاعر العباسي ،إذ امتاز هذا بخياله التصويري الرائع في تشكيل الصور الشعرية موظفا الأساليب البلاغية البيانية والبديعية في نسج صوره المختلفة

الهوامش:

(١) ينظر: معجم البلدان: ج٥/ ٣٩٦ ، سير اعلام النبلاء: ج١٧/ ٢٧٤

(٢) ينظر: سير اعلام النبلاء: ج١٧/ ٢٧٤

(٣) ينظر: دمية القصر ، الباخرزي: ج٢/ ٧٢١

(٤) ينظر: يتيمة الدهر: للثعالبي: ٢/ ٤٧١

(٥) ديوان القاضي الهروي (منصور بن محمد الأزدي (المتوفى سنة ٤٤٠هـ):١٣-١٤

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام: ج٩/ ٥٩٦، سير اعلام النبلاء: ج١٧/ ٢٧٤

(٧) رماد الشعر :٢٢

(٨) الصورة في التراث النقدي والبلاغي :٢٠٨ ، ينظر: العمدة: ج١/٢٨٧

(٩) الصورة الفنية معيارا نقديا ((منحنى تطبيقي على شعر الاعشى الكبير)) : ص٣٧٤.

(١٠) علم اساليب البيان:٢٤٧.

(١١) انوار الربيع في أنواع البديع : ابن معصوم المدني، تح: شاكر هادي شكر : ج٢/٣١ .

(١٢) علم البديع د. محمود احمد حسن المراغي : ١٠٩ .

(١٣) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، ج٢/٣٥٦ .

(١٤) الصورة في الشعر العربي حتى اواخر القرن الثالث الهجري : ٣٠ .

(١٥) ينظر: لغة الشعر عند المعري(دراسة لغوية فنية في سقط الزند): د. زهير غازي: ٧٦ .

(١٦) ديوان القاضي الهروي: ٢١

(١٧) ديوانه:٣٢-٣٣

(١٨) ديوانه: ٥٤

(١٩) ديوانه: ٢٩

(٢٠) ديوانه: ٥١

(٢١) ديوانه: ٣٩

(٢٢) ديوانه: ٥٨

(٢٣) ديوانه: ٣٩

(٢٤) ديوانه: ٤٩

(٢٥) ديوانه: ٢٤

(٢٦) ديوانه: ٢٣

(٢٧) ديوانه: ٥٢-٥٣

(٢٨) ينظر: فلسفة الخيام

(٢٩) ديوانه: ٢١

(٣٠) ديوانه: ٢٣

(٣١) ديوانه: ٣١

(٣٢) ديوانه: ٢٥

(٣٣) ديوانه: ٢٧

(٣٤) ديوانه: ٣١

(٣٥) ديوانه: ٣٨

(٣٦) ديوانه: ٤٢

المصادر والمراجع:

١-لغة الشعر عند المعري (دراسة لغوية فنية في سقط الزند) : د. زهير غازي زاهد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩م .

٢- الصورة في الشعر العربي حتى اواخر القرن الثالث الهجري : ٣٠ .

٣- انوار الربيع في أنواع البديع : ابن معصوم المدني ، تح: شاكر هادي شكر ، ط١ ، مطبعة النعمان النجف الاشرف ١٩٦٩م .

٤- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط١، دار صادر-بيروت-١٩٧٧

٥- سير اعلام النبلاء، للذهبي، احقيق مجموعة من المحققين، ط . مؤسسة الرسالة-بيروت-١٩٨١م.

٦- تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط. دار الغرب الاسلامي-بيروت-٢٠٠٣م.

٧- ديوان القاضي الهروي، منصور بن محمد الأزدي (المتوفى سنة ٤٤٠هـ)، عني بجمعه وتحقيقه ابراهيم صالح، وزارة الثقافة-الهيئة العامة السورية للكتاب- ٢٠١٥م.

٨- رماد الشعر

٩- تطور الشعر العربي

١٠- الصورة الفنية معيارا نقديا ((منحنى تطبيقي على شعر الاعشى الكبير))، عبد الاله الصائغ ، ط١ ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٧.

١١- علم اساليب البيان

١٢- دمية القصر ، الباخرزي: تحقيق د. محمد ألتونجي، ط . دار الفكر-دمشق-١٩٧٤م.

١٣- يتيمة الدهر، للثعالبي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الفكر –بيروت، ١٩٧٣م.

١٤- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : جابر احمد عصفور ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٤م .

١٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني ، منشورات مؤسسة النصر ، مطبعة المقتطف ج١ .

١٦- علم البديع ، د. محمود احمد حسن المراغي ، ط٢ ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٩م .

١٧- العمدة في محاسن الشعراء وآدابه ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م ، ج٢ .

١٨- لغة الشعر عند المعري (دراسة لغوية فنية في سقط الزند) د. زهير غازي زاهد – دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٩م .